الراوي

الجزء التاسع من السنة الاولى

١ كانون الاول ﴿سبتمبر﴾ سنة ١٨٨٨ ☆ الموافق ٢٧ ربيع اول سنة ١٣٠٦

التمثيل

عودٌ على بدء — في العدد الرابع من سنتنا الجارية تحت عنوان التمثيل مقالة بدأنا بها وقتئذٍ ببيان حالة هذا الفنّ وما كان عليهِ في الزمن الغابر وما صار اليهِ في وقتنا الحاضر . وفصلنا ثمَّ فوائده وما ينجم عنهُ من المنافع في تقويم الاخلاق واصلاح العوائد وعرّضنا بتاخر هذا الفنّ في بلادنا وقلنا كلمة في ما يلزمهُ من الاصلاح مبينين طرق ذلك واصفين الدواء الشافي لموضع الداء وكان لرأينا عند طلاّب الادب صدى بدأنا ان نرى معهُ تحقيق الرجاء والحمد لله

ولقد منعنا ضيق المقام وقتئذٍ من نشر تتمة المقالة ثم حال دون ذلك موانع الجأتنا الى تأجيلها وكان ذلك من وجه تفضيل الاهم على المهم . فتركنا تتمة القول الى اوان التمثيل العربي . اما الان وقد رفع حجاب الملعب الكبير (هو المعروف بملعب زيزينيا) عن جوقة وطنية عربية فرأينا من واجب الخدمة الخالصة ان نعود الى اتمام ما بدأنا بهِ متابعين الكلام عن لوازم الملاعب عندنا وما تحتاج اليهِ لتصل الى حالة الاتقان المطلوب فنقول :

ثم ان للنظام والترتيب تعلقاً عظيماً في شأن اتقان التمثيل وهذا الامر متوقف على دراية وخبرة مدبرّ الجوقة فاذا لم يكن هذا المدبرّ ممن يحسنون التمثيل ويعرفون بمواقع الاجادة

والغلط فلا يتمّ للممثلين اتقان ولا يسيرون في طريق الكمال

وبقي امر خطير عليهِ وحدهُ يتوقف اتقان العمل وبهِ دون سواهُ يمكننا ان نباري الاجانب وندعوهم — كما هم يدعوننا — الى ملاعبنا غير خجلين نريد بهِ الموسيقى التي ترافق نقراتها نغمات المغنين فتعينهم على حسن العمل وتوقع في نفوس السامعين طرباً ورهبةً يتمان حركات الممثل ويكملان معنى كلامهِ . على ان تأخر فن الموسيقى العربية وعدم وجود روابط وقواعد تسهل تقدمهُ واقتناعنا بما نراه من تلاعب المطربين باوتار العود والقانون تلاعباً بسيطاً لا قاعدة لهُ ولا رابطة الا صبوة المطرب تحرك اصابعهُ وتدفعهُ الى استنباط نقرات يخص بها نفسهُ يضطرنا الى السكوت عن هذا الامر والرضى بالنقص الى ان يقوم منا موسيقيٌّ يسعى في سد هذا الخلل فيضع القواعد والروابط ويجعل للموسيقى العربية نظاماً نسير عليهِ . وسنخصص لهذا الموضوع المهم مقالة مطولة نبين فيها امكان جعل الموسيقى العربية فناً قائماً بنفسهِ يتعلمهُ طلابهُ كما يتعلمون بقية الفنون الاخر ذات الروابط والنظام

ثم ان اختلاط مواضيع الروايات عندنا لعثرة في سبيل مهارة الممثل فان الرواية العربية الواحدة تجمع بين المضحكة والمحزنة والنثرية والشعرية والغنائية والجدّية والهزلية الى اخر ما هنالك من انواع الروايات التمثيلية التي لا يمكن قط لفردٍ ان يتقن العابها كلها . والرجل الذي تدعوهُ الى تمثيل هذه الروايات على اختلاف ضروبها لا يكون الاَّ مقصراً متأخراً بخلاف من ينقطع الى ضرب واحد من ضروب التمثيل فانهُ على كثرة المراجعة والتكرار يصل الى نجاح تام واتقان الفن الذي يطلبهُ . فالمرء اذا حصر فكرهُ في امرٍ واحدٍ يحل معضلاتهِ حلاً سريعاً ويصل فيهِ بسهولة عجيبة الى الغاية المرغوبة . فلو جهد كتابنا المشتغلين بخدمة الادب في حصر موضوع الروايات وتقسيم انواعها وترتيبها على نظام روايات الافرنج وجعل ممثلين مخصوصين لكل ضربٍ من تلك الروايات يجهدون في تحسينهِ وزيادة رونقهِ منقطعين الى النوع الذي يطلبونهُ غير مطالبين بسواه لصحت عندنا الحالة وحمدت العاقبة وبلغنا اوج الاصلاح في فن الروايات فاستجلينا فوائدهُ . ولكننا ما دمنا على هذه الحالة التي نحن الان فيها نرضى بالقليل ونقنع بالنقص ولا نسعى وراء الكمال والاصلاح فلا نأمل تغيير الحال ولا نرجُ تحقيق الآمال

فلقد ثبت اذن ان اموراً ستة لا ندحة عنها لمن يطلب الاصلاح في فن التمثيل ونحن نعيدها باختصار تذكيراً فاولها حسن الوضع من حيث الانشاء والتبويب . وثانيها خلو

الروايات من الالفاظ البذيئة مع المحافظة على الاداب وقواعد التهذيب . وثالثها جمال الوجوه وحسن الاصوات ورابعها الموسيقى . وخامسها حصر الانواع . وسادسها حصر الممثل فاذا تمت لنا هذه القواعد فعد البلاد بلاعب وممثلين تكسف بدور مهارتهم شموس ملاعب الاجانب

هذه آراء لاحت للخاطر نعرضها على اذكيائنا وعسانا لا نعدم في رأينا منهم نصيرًا

ولما كان الشيء بالشيء يذكر رأينا ان نلمّ بذكر شيء عن الجوقة العربية الوطنية القائمة بادارة جناب الذكي المجتهد سليمان افندي القرداحي والتي بدأت في منتصف الشهر السالف بتقديم رواياتها الجديدة التي بذل حضرة مدير الجوقة غاية الجهد في جعلها مطابقة للاصول التي قدمناها . ولقد تمّ له اتقان بعض الامور فجاءت الجوقة الحاضرة احسن مما قبلها واكثر اصلاحًا واتمّ علمًا فرضي عنها جمهور المتفرجين وصفق الناس لها استحسانًا فتفأَّلنا بحسن المآل وعللنا النفس بصلاح الحال . ونخص بالذكر من بين الروايات الجديدة رواية اوتيللو الشهيرة التي تصعب حتى على اكثر ممثلي الاوروبيين انفسهم ولقد قام بها الجوق العربي احسن قيام فكذب اقوال الحساد والمرجفين

ولقد تلقينا الجرائد المحلية فرأيناها مجمعة على مدح براعة الممثلين والثناء على همة مدير الجوقة الا واحدة منها عُرفت منذ بادىء امرها بنزعة خاصة بها وهي القدح والذم والتنديد فان هذه الصحيفة على ما جاءها من النصح وما أتاها من التقريع لا تزال محافظة على خطتها الوخيمة متابعة سيرها السيىء لا ترعوي عن غيٍّ اتخذته لها مذهبًا ويقينًا وضلالٍ اعتنقته لنفسها حقيقة ودينًا

وما نظن قرأنا الكرام يجهلون اي صحيفةٍ نعني فانهم مثلنا يعلمون ان القدح والذم والتنديد والثلب مزايا خاصة « بالاتحاد المصري » خلقت معهُ ولا تزول الا بزوالهِ . فلقد خصصت هذه الصحيفة اعمدتها الاخيرة لتوجيهِ كلام المذمة الى مدير الجوق النبيه والحط بهمة الممثلين المجتهدين والانذار بقرب سقوط العمل وحبوط المسعى والخراب القريب وغلّ الايدي وضياع الآمال وذهاب الرجاء ناظمة كل ذلك في سلك من سفاسف الكلام والعبارات السمجة التي ينفر منها كل ذي ذوق حسن ويمجها كل طبع سليم . وما تخفى عنا اسباب هذا الاعتداء المحض بل اننا نعلم سببهُ علمًا جليًا فهو صادر عن غاية دنيئة

صادر ايها القراء عن ان الاتحاد المصري لم ينل الدعوة الى الملعب فتأملوا
ولقد كان بودّنا الا نتعرض ههنا للردّ على ما نشرته الصحيفة المذكورة ولكن سعينا في خدمة المصلحة العمومية ابى الا ان نكشف عن الحق ستاراً القاهُ عليهِ الباطل وان نوجه الى الجوقة الوطنية كلمة الثناء والتشجيع والاتحاد قول النصح والانذار عساهُ ينجع فيهِ و يفيد والله ولي الافادة

مراسلات

ابواب المجلة مفتوحة لرسائل كتابنا الادباء وصفحاتها معدة لنشر نفثات اقلام شباننا الاذكياء ولكننا ننشر فيها ما يرد الينا كما يأتينا تاركين مسئوليته من كل وجهٍ على صاحبه غير متحملين تبعة شيء من ذلك

الفراتان

كان الداعي الى تزبير هذه المقالة النفيسة ما اتصف بهِ هذان البحران من الاشتهار وما تعرفا بهِ من المجد والاعتبار في الاسفار التاريخية الجليلة . بل انما هو مشاهدتنا الكتب التاريخية والجغرافية التي لم تجد بالتفصيل عن ذكرها ولم تورد التطويل في شهرهما على مزيد جلالهما . وعديد افضالهما فنقول في الاكبر وهو الفرات

(الفرات) سمي بذلك لعذوبة مائهِ وصفائهِ من قولك هذا الماء فرات اي عذب . قيل ان قد مدّ على ذوي البصائر مخرجهُ حتى بات لدى البعض شغلاً شاغلاً . وحسبه الاخر عملاً عاملاً . فقال الواحد منهم ان ينبوعهُ من جبال ارمينية . وذهب الاخر الى ان نقطة مخرجه من كردستان . اما نحن فنذكر مخرج هذا النهر وما يتعلق بهِ تسانداً الى قول العلامة فيليب سميث . فنقول

ان الفرات يؤلفهُ نُهيران ينبوع النهير الشمالي قرب جبل ارارات ويسمى قاراصو (اي النهر الاسود) واما ينبوع النهير الجنوبي فمن شمالي بحيرة وان ويسمى مرادشاي وهذا الاخير

هو المجرى الاصلي لنهر الفرات . وقصارى الكلام ان هذين الشجنين ينبوعهما من عقدة مركزية في الاراضي الجبلية الارمنية . يظلان مدة يصدعان معجًا الوديان حتى يتلاقيان ومن بعد يمسي عرض ذلك النهر الجديد ١٢٠ قدمًا وذا عمق عميق . ثم يدور بالجهة الغربية من سلسة جبال نيفاط جاريًا جنوبيًا بسرعة برقية بين سلسلتا جبل طورس وماسيوس (كرجا بكلر) حتى يبلغ مدينة ساموزاتة حيث يصير مقطعة (مقطع النهر الموضع الذي يعبر منهُ) وهكذا يسير في جهتهِ تلك مجتازًا بسفح جبال الاراضي ما بين النهرين العليا الى ٣٦° من العرض الشمالي ثم انهُ يبلغ البادية الواسعة المستوية السريانية حيث يستأنف الجري في الجهة الجنوبية الشرقية . وفوق ٣٥° من العرض يتصل بمياه الخابور الجاري جنوبي جبل ماسيوس وهناك عند ملتقاه كانت مقامة مدينة سرسزية المشهورة . ثم ان الفرات من نقطة ملتقاه الى ملاقاته دجلة يجري متمعجًا لكن بطيئًا مسافة ٨٠٠ ميل غير مجتمع بمياه اخرى . بيد ان جانبًا كبيرًا من مياههِ يتودَّر بالبرية وعرضه تحت نقطة انضمامهِ الى نهر الخابور هو اعرض من سائر مواضعه اذ انهُ يبلغ ما ينيف على ٤٠٠ ذراعًا اي على بعد ٧٠٠ ذراعًا فقط ويصبح عمقهُ ١٨ الى ١٢ قدمًا

ومن ثم نقول ان الفرات يجري باستقامة في مجرى واحد حتى ناحية المسيَّب الواقعة الى الجهة السفلى من الحلة على بعد خمس اوست ساعات من القصبة وحينئذٍ يتشعب منهُ شعبتان الواحدة تجري في اراضي الحلة الواسعة والاخرى تروي قضاء الهندية وسائر ملحقات لواء كربلا . ثم ينسل في اصقاع المنتفك وتسمى الشعبة الاولى بنهر الحلة والثانية بنهر الهندية

ولما كان مبدأ عتيق نهر الهندية اكثر انخفاضًا من مبدأ نهر الحلة جعل الفرات يميل مجراه الطبيعي الى الهندية شيئًا فشيئًا فاتسع مجرى الهندية وصار يبلغ ثمن ماء الفرات فيخشى من ثم ان نهر الحلة ينضب بعد مدة قليلة . فاذا اتفق لا سمح الله ان نهر الحلة ينضب فالعطش وقلة الماء يتلفان لواء الحلة الجسيم والكثير الارباح وقسمًا كبيرًا من اراضي المنتفك الكائنة في الشمال ويخشى ايضًا ان نهر الهندية باستيعابهِ هذه المياه الزائدة يفيض على ضفتيهِ ويدمر ما يمر عليهِ من الاراضي الوسيعة والقرى والضياع والقصبات

فلم تستحسن الولاية الجليلة ولا مجلس الاراضي التعرُّض لهذه الاخطار العظيمة ففكرت في ايجاد وسيلة لملافاة هذه الاضرار . وذلك بحفر مبدا نهر الحلة بدرجة يكون بها مساويًا لارض مبدأ مجرى الهندية وسد مبدأ نهر الهندية وهو المحل المسمى بالدوار وانشاء بنيان

من الحمارة في الجهة الغربية من الدوار المذكور تكون مدراراً لتحويل جرّ الماء وانصبابه الى جهة الحلة وقد ظهر بعد البحث ان هذا العمل يستلزم من النفقات نحو مليون وثمانماية الف غرش . وقد استوذن من نظارة الداخلية الجليلة على ان يكون نصف هذه النفقات من الخزانة الخاصة الملكية وممن كانت له بذلك علاقة من الاهالي . والنصف الاخر من جانب الخزانة وقد بذلت الهمة في مباشرة الاشغال

دجلة

قال ياقوت : لا تدخلهُ الالف واللام . وسمي بذلك لانهُ يدجل اراضي بغداد اي يغطيها اذا فاض منبعهُ في الجهة الجنوبية من جبل نيفاط من بحيرة صغيرة تسمى قلشيق يفصلها جبل عن احدى منعطفات الفرات وتعاريجهِ وقد يبلغ الفاصل مسافة ميلين او ثلثة انما الذي يصبح شطا للسفح الجنوبي من جبل نيفاط مثل ما هو الفرات في سفحهِ المحاذيهِ . ويجري في الجهة الشرقية وهناك يجتاز بوادي ديار بكر الفاصل سلسلة ديار بكر من جبل ماسيوس ثم انهُ يندق بجبال كردستان الموضع الذي منهُ يستأنف الدوران في جهة متباينة بين الجنوب الشرقي والجنوب طول قُبُل السلسلة المسماة عند القدماء بزاغروس . اما مياههُ فغزيرة هناك وذلك لكثرة ما ينصب فيهِ من السواقي وينكب فيهِ من الشلالات والجنادل التي تخرج من السلسلة المذكورة . ويتم جريانه بين مضيق عميق في سلسلة جبال ثانوية على مقربة من الجزيرة تحت السهل الاشوري الاعلى جائزًا باخربة نينوى المحاذية ولاية الموصل . غير ان جريانه عند سهل سرّ من رأي الغربلي يكون في الجهة الجنوبية الشرقية . و بعد ذلك يلتفت جنوبًا نحو الفرات فيصبح حينئذٍ البون بين كلا النهرين اقل من ٢٠ ميلاً وذلك عند ولاية بغداد عند ما يلائمها نهر ملشًا او القناة الملكية سلوقية واكتزيفون عاصمتا اليونان والفرس حيث كانتا قائمتين قديمًا . ثم ان هذين النهرين بعد سيحانهما مدة مجرًى متوازيًا يفترقان ثانيةً افتراقًا كليًا . وفي منتصف الطريق المؤدي الى ملتقاهما للمرة الاخيرة ينهب الفرات من دجلة قسماً كبيرًا من مياهه بواسطة الجدول نهر الحيّ لكن لما يأخذ النهر الاصلي اي دجلة جهتهِ الجنوبية الشرقية ينضم الى الفرات ثانية عند الدرجة الواحدة والثلاثين من العرض الشمال . اما ملتقى هذين النهرين المسمى الان بشط العرب فاسمهُ مأخوذ عن دجلة ولو ان الاخير احرج من الفرات واقصر منهُ اذ يبلغ طولهُ ١١٤٦ ميلاً مع ان طول الفرات

نحو ١٧٨٠ ميلاً

ومن اشهر الجداول التي تصب في دجلة الزابان من زاب الشيء اذا جرى نهران كبيران هما الزاب الاعلى والزاب الاسفل . فالاعلى بين الموصل واربل مخرجهُ من عين في راس جبل من جبال فارس وهو شديد الحمرة وكلما جرى صفا قليلاً ولا يزال يسيل في جبال واودية وحزون حتى اذا بلغ كور الموج من كورة الموصل يفيض في دجلة وهذا الزاب هو المسمى المجنون لشدة جريهِ . واما الزاب الاسفل فخروجهُ ما بين شهر زور (كركوك) واذربيجان و بين مجراه ومجرى الزاب الاعلى مسافة يومين او ثلثة ومصبهُ في دجلة ايضاً

ثم ان كلا المجرين يحدثان سنوياً غريقاً بسببه اِمّياع الثلج المعم جبال ارمينية . فان الفريق الذي يطوق السهل البابلي انما يعزى الى الفرات وحده وهو الذي ايضاً قدم الى الخليج العجمي مخرج شط العرب وذلك بجرفهِ نقلاً «النقل في عرف الجغرافيين هو حمل ما تجرفهُ المياه من مكان الى آخر» غزيرًا ودثورًا كثيرًا . فطبقًا للحساب ان شط العرب ازداد طولهُ ميلاً واحدًا في مدة لا تزيد عن ٤٠ سنة اذ كانت فرضتهُ قبلاً عند الدرجة ٣١ من العرض الشمالي اما الان فانها في الدرجة الثلاثين من ذلك العرض

وقبل غلق هذا الفصل وختمهُ بخاتم الانتهاء نقول مع انتهاز الفرصة : ان اغلب المؤلفين العلماء ذهبوا الى ان الفردوس الارضي كان في العراق العربي مستندين الى برهانهم الاوطل وهو لوجود النهرين المذكورين فيهِ . اما نحن فنقر برأينا المطابق راي العلامة الفطحل مُوانيو ان الفردوس الارضي كان بطرف اورشليم . سنورد الكلام على ذلك في عدد من الراوي مقرونًا بالبراهين القاطعة والادلة الناصعة ان شاء فهو التدبر واليهِ المآب والمصير

بغداد نابليون الماريني

التمدن في الزواج

(تابع)

ولقد نكتفي بما ابنا عن بسط ما لم نبن من دواعي فساد الاخلاق بما يجر الى فساد النسل واذا اعتبر بعضهم ان كلامنا منافٍ لما يدعونهُ تمدنًا فنقول لهم ان كثيرًا ممن لم يرتضوا الاشتراك في هذه الاجتماعات والعادات القبيحة هم في اعين مخالفيهم ذوو اعتبار ولربما

يأخذ البعض علينا في ما شرحنا وينسبوننا للبرابرة ظنًا باننا نحظر على نسائنا التمتع بهذه الملذات الاشتراكية على اننا نسال الرجال منهم ان يجيبوا انفسهم بماذا يتحدثون مع اللائي يختلون بهن لعمر الحق ان الرجل ليصرف كل زكائهِ في استجلاب ميلهن ولقد يكاد ينطرح تحت اقدام واحدة منهن رجاء نوال عاطفة ميل او استحسان حتى اذا وثق منها بالمحبة تضاعفت همته في بذل ما يمكن عرى الالفة ومتى تجلت لهُ عاطفة الميل انصرفت ملامحهُ عن الذلة الى مظاهر التكنف بالجمال والكرم والنبالة مما ادعى لميل النساء وما هي الغاية يا ترى من هذا الاهتمام ..... اظن التمدن المجرد ..... فشانك فيما ذكر شان من يختلو بزوجك في هذه المجتمعات «المتمدنة» حتى ولقد تجاوز بعض السيدات (كما يسمونهن) ما ذكرناهُ الى مباراة الرجال بالمقامرة وترى المرأة الجميلة منهنَّ على رقعة القمار وامامها الذهب تدعو اللاعبين لمنامرتها فيلبون الدعوة تظاهرًا بالكرامة واستجلابًا لعاطفتها الى ان تخلو الجيوب فيؤبون بصفقة الخاسر حتى يضطر احدهم ان يسالها كرمًا لتجود لهُ بما يدفعهُ اجرة للعربة ليرجع بها الى بيتهِ ايظن حضرة زوج هذه المليحة انهُ اجمل من يوسف واقوى من عنتر وانبل من اتوس واجود من حاتم و... حتى لا يخشى عليها ولا تأخذهُ سورة الغيرة لتفردهِ فيما تميل اليهِ النساء وفضلاً عن ذلك الم يكن بقاؤُها خارجًا عن بيتها الى ما بعد نصف الليل واحتمالها ضغط البوستو والحذاء موجبًا للاضرار بصحتها وعقلها وسريان ذلك الى اولادها الذين تلدهم بحالة السقم وكيف يرضى الرجل ان يكون نسلهُ عليلاً معرضًا للامراض عند حدوث ادنى سبب تحت علة واجبات التمدن ولقد افرط حضرات مواطنينا من الميل الى توسيع نطاق هذه العادات حتى تجاوزت خطاهم شوط سانيها ومنعوا ذواتهم ونساءهم من النهوض من فراشهم باكرًا واستنشاق نسيم الصباح المنعش والتمتع بجمال الفجر وبهجة ظهور قرص الشمس البهي اذ يخرج من عند منتهى خط الافق كانهُ دينار او كرة من نار مرسلاً اشعتهُ على الغيوم حتى تُرى كانها مركبات من لهب او مركَّبات من ذهب وقد صادفني ان قصدت مع احد الذوات زيارة واحد من المتمدنين الشرقيين وكانت الساعة الحادية عشرة قبل الظهر فلما صرنا في مدخل البيت قيل لنا ان الخواجا لا يقبل الزيارة في مثل هذه الساعة لانهُ والمدام يظلان نائمين الى ما بعد الظهر بنصف ساعة حيث يقومان للطعام وانهما لا يحضران الى البيت قبل الساعة الثانية بعد نصف الليل شأنهما في كل ليلة «فنعمت العادة ونعم التمدن» او لم يعلم الذين انصرفت اميالهم الى اتباع هذه الاجتماعات المحفوفة بالمضار القائمة

على ذوي اكثر الخداع والتدليس انهم يفقدون لذة الاجتماع العائلي بينا يجلس الرجل وامرأته ويكون اولادهما فرحين حولهما يستنبئون دروس الراشد و يستعرضون اعمال بناتهم من نسج واذهار ويدرآن كبوة الحالي غير موكول امره لغير امهِ و يكونان مدرسة فعالة لاولادهما بما يلاحظان عليهم من الهفوات وما يجلبان لهم من الحقائق والتجمل بالعوائد الصحيحة والمبادي الجميلة والارشادات القويمة ويقصان عليهم من القصص التي تظهر فعل الكرامة والشهامة ومضار الكسل والكذب والنميمه والسكر والقمار والزنا الخ . ولقد نظرنا كثيرًا من الشبان الذين ترك ابوهم امرهم الى انفسهم وكانوا اغنياء قد اضرت بهم عوائد التمدن الجديد واستنزفت ينابيع ثروتهم معدات العادات ومواد المودات اولئك الذين اعتاضوا عن الحقيقة بالغرور حتى كادت تعفو رسوم وجاهتهم بظهور رسوم وجوههم واضطر كثير منهم الى ارتكاب متن المصادرة تحت ستار الاقتراض ارضاً لحضرة المدام المدعوة ليلة كذا الى سوار يه فلان قيامًا بما تحتاجه من الملبس والزينه لتكون ازهى نظيراتها وموقعًا تتهافت عليهِ انظار المستحسنين وقد تستلزم وملبسها لهذه الليلة انفاق انصبةٍ من الدنانير فترجع الى بيتها اخر الليل تعبى لا تقوى على النزول من العربة ما لم تستند على ذراع اخر وهي تعض شفتها وتنفض يديها من حرار آلام ضغط النعل على وحشي خنصري رجليها والتواء اطراف اضلاعها الى احشائها بحيث لو سقط منديلها لما قويت على تناولهِ عن الارض (كل هذا من موجبات تقليد التمدن) ثم لا ينهض زوجها من فراشهِ صباح تلك الليلة الا و يأخذ ان يهيء اكاذيب يصرف بها العربجي والسائس ورسول كورديه ورسول شالون و بائع الزهور وعاملة البرانيط والخياطه حتى اذا عزت عليهِ الحيل او كان بعض من ذكر ممن لا يستسهل انصرافهُ بغير الدرهم عمد الى الخروج من غير باب وركب اول عربة تصادفهُ اتقاء شر المنتظرين (هذه من ملذات التمدن الجديد) وتلجئه عاقبة الامر الى بيع ما يكون باقيًا عندهُ من العقارات والمتاع اما اختيارًا واما اضطرارًا و يأخذ احباؤهُ يستدركون عليهِ اغلاطه السالفة و يجتنبون الاجتماع بهِ على انفراد لئلا يكلفهم خدمة او يسألهم جدوة واذا خلا بهِ واحد منهم يبتدرهُ باخبار وقوف التجارة وكساد الحال ويقول لهُ عليَّ كمبيالة مستحقه وليس عندي قيمتها وفلان لهُ عليَّ مبلغ ولا اعلم كيف اصرفهُ واهل البيت مرضى وافكاري قلقة حتى يصرفهُ عن سؤاله و يقطع رجاءهُ من نواله فيأخذ

ذلك المسكين في ان يرى طريقة تمكنهُ من نوال بعض الدراهم وهو يبرم شوار به بعنف او يحت اظافره باسنانه او يحرك عصاهُ حركة غير منتظمة

البقية تاتي

قتل القاتل

لكل مقامٍ للاديب مقولُ ... وليس لاحكام العقولِ عقولُ
رويدك يا من قد اتيت مفندًا ... لاقوالنا ماذا عساك تقولُ
روينا رواياتٍ عزيزٌ مكانها ... من العلم يهمي قطرها ويهيلُ
هو الحق نبراس يضيءُ من اهتدى ... وانواره بالخافقين تسيلُ
فما ضرّه لو عابه طرف رامقٍ ... اذا لم يرَ فيهِ الضيا فكليلُ
وحاشاك من هذا وطرفك باصرٌ ... وصنعك مشكورٌ وانت خليلُ
اذا كان فوزي يا حُسين مرامه ... عزيزٌ فحظي من ثناك جميلُ

خلق الانسان من عقل وهوى والملائكة من عقل بلا هوى والحيوان من هوى بلا عقل فاذا الانسان غلب عقلهُ هواهُ فهو افضل من الملائكة واذا ملك هواهُ عقلهُ فهو اذلُّ من الحيوان والعقل نور بهِ تدرك النفس العلوم على اختلافها وتميز ماهية الاشياء مع تفاوتها وتباينها وقوة تتصل بها الى العلم بخير الخيرين وشر الشرين وفي التعريفات جوهر مجرّد عن النفس في ذاتهِ مقارن لها في فعله وهي النفس الناطقة الذي يشير اليها كل احد بقوله انا . والنفس الجوهر البخاري الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الارادية وسمّاها الحكيم الروح الحيوانية وانّا ما دُفعنا الى هذا الصدد الاَّ لنوضح بان العقل والنفس والذهن واحدة سميت عقلاً لكونها عاقلة ونفساً لكونها متصرفة وذهناً لكونها مستعدة للادراك وفي ذلك ما لا يخفى على أُولي الالباب

لا يصح قتل القاتل من كل الاوجه التي اتيت على بيانها واقام عليها مناظري الاريب دعواه وهو ما حداني الى نقض ما ابرمه وتأييد ما دحضه بكل حجة بتراء وبرهان ناصع حتى لا يكون وجه للعود الى ما اورده في آياتٍ بيناتٍ بل الانتقال الى ما سواه ليستانف المطالع تصفح رسائلنا ويتوق الى تضارب ارائنا فان في التكرار ما يأباه الذوق اللطيف وفي النضال ما يمجه الطبع السليم وشروط المناظرة الاَّ تتخطى شأْو الأدب ولا تبعد عن

مجال الأرب والله ولي التوفيق والهداية

كَبُرَ على مناظري منهج نهجت بهِ طرق السداد ومسلك سلكت بهِ سبل الرشاد فرد عليَّ برسالة ضافية الذيل اوردها على سبيل المباسطة والمناقشة فدلَّ بها على توقد ذكائه وسعة خاطره ولقد افرغ بها حقيبتهُ وبذل دونها قِبَلَهُ ولازم باب اللياقة وذلك ما حدا بنا الى حسن الظن بهِ فنقول ·

يتضح جليًا دون شق الانفس فيما نستفناهُ من عدم قتل القاتل ان العاقلة عندما يحدث اختلال ما في الدماغ تبقى هي صحيحة سليمة حتى اذا انقشعت غيوم هذا الاختلال عن مرآة الدماغ التي في الاغلب لا تقيم الاَّ برهة العمل عادت القوة العاقلة الى سالف خطبها ولزمت سابق مجراها من العاقل فتمثل وقتئذٍ لديه مثال الجناية على مقتضى حركاتها فتحمله إصر عذاب مرّا يحدث من جرّاه تبكيت الضمير والندم على ما فرط بعد فوت الفوت وضياع الفرص وليس كما وهمه حضرة الكاتب في رده على هذا الحكم ظنًا بهِ ان هذا النوع من الاختلال يتبع آثار صاحبهِ الى اخر رمق من حياته فعلق عليهِ كلامًا وافيًا بعد قولهِ ان هذا لا يجب الاعتراض عليهِ فلو وجب اصلح الله شانهُ لضاقت دونه السبع الطباق اما وقد انجلت زواهر الحقيقة فلا وجه للشك الا على سبيل المغامرة ولا محل للعذر

النادر لا يعمل بهِ ولا يقاس عليهِ وما فوق الادراك بعيدٌ عن العقل يقبلهُ الظن ولكنهُ لا يجوز الانضواء اليهِ وما ليس فيهِ شك فهو يقين لا يجدر بهِ التقريع والتعريض ولا يخلق بهِ النقد الطويل العريض ولقد عجبت قصوى العجب كيف ان مناظري الاديب سها عن بالهِ ان البلاد المتمدنة والمدن الزاهرة لا يعيث بها السلبة الاشقياء ولا تكثر فيها قطاع الطرق ولم كبر على فهمهِ هذا التصريح وهو كالنهار لا يحتاج الى دليل ولعلهُ روى طروق بعض حوادث لهؤلاء البغاة تجيئ بها طوارق الحدثان واحكام الاتفاق وفي كل حال لا يجب ان نعتدَّ بها لندور وقوعها ولا ان نتخذها برهانًا قاطعًا وكان صاحبنا استجاد ما انتقدتهُ في ذيل رسالتي من اباحة البراز فلم يخط في صدده حرفًا واحدًا حال اني نددت بهِ تنديدًا عنيفًا وابديت رأيي فيهِ على ان القاتل في البراز اخلق بالاعدام لو صح قتل القاتل لتعمدهِ جريرة القتل على نظام واساس لا يجوز الخروج منهما ولا العدول عنهما

ثم اني ارتأيت في الرد الاخير على فقرتي في ترجيح المدنية عدم قتل القاتل واستحسان الانسانية مأخذها بما يعود على الهيئة بالنفع العميم ان مناظري الاديب ذهب فيهِ مذاهب

لم ندرك منها ما حملهُ على التصريح بحجج غير ناهضة كمن التبست عليهِ المعاني فلم ينلُ جنى وصالها ولم يكتنهُ كنهُ مقالها حتى كاد يوهم المطالع انَّا في موقف بعث وحشر لا في مقام مناظرة وعلم ولكنهُ لو تبصر الامر من حيث مأتاه وابصر عظم قولي بان القاتل يعاقب اشد عقوبة جزاء ما جنت يداهُ وعلم ان كثيرين من الذين اذا حكم عليهم يفضلون القتل (او صح) على القيام باعباء الاشغال الشاقة مدة حياتهم وما باله لا يدري بان السواد الاعظم من هؤلاء القوم من النحر فرارًا من مكابدة هذا العذاب المنكر وهو من المرجح في الذهن احرق اهمية من القتل واشد وطئة

واخيرًا لو ادرنا الرأي على منصات العقل الصحيح لحكمنا بان القاتل يلحق بالهيئة الاجتماعية ضررًا فادحًا لهدمهِ ركنًا من اركانها وبالسلسلة البشرية خسرًا فاحشًا لتعطيله عضوًا من اعضائها ولكن ما اخلقنا بالمديح واحرانا بالفخر لو توصلنا الى تحويل هذا الضرر والخسر الى نفع الاولى وربح الثانية عضوًا اخرًا منها وذلك ما لا يحمل علينا اصرا فنكلف القاتل الاشغال العائدة لخدمة العموم ونحقن الدماء ونكسب الاجر والثواب والله لا يضيع اجر المحسنين

بيروت عزيز سليم صعب

مبحث جديد

الشعر

الشعر ريحانة النفوس ولسان الزمان ولغة القلوب وسلوى كل هائم ولهان . ولقد نطقت بهِ السنة كل الشعوب وتكلمت بهِ جميع الامم وقالهُ رجال لا نزال الى الان نفاخر بدر اقوالهم معجبين نقول ان من الشعر لحكمة فللّهِ درّ القائلين

وكان الشعر عند العرب ايام البداوة طبعًا غريزيًا يقولونهُ بدون استعدادٍ ولا تروٍّ فقد كان بمثابة النثر عندنا الان او الكلام العاديّ الذي نتخاطب بهِ . وما زال كذلك يتفرد فيهِ بعضهم عن بعض اما بطلاقة اللسان او بقوة الجنان او بالسهولة او الفصاحة وحسن التركيب وما اشبه حتى فسدت اوضاعهُ وكثرت قواعدهُ وصار كل يقولُ الشعر كما يريد فتصدّى الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ لسد هذا الخلل فاستنبط

علم العروض وقيدهُ بالقواعد والابحر التي لا يجوز لشاعرٍ ان يتعداها .

ولقد استغرق وضع تلك القواعد لتقرير علم العروض وقتًا طويلاً لان الخليل كان اول من فكر بذلك فلم يكن امامهُ طريقة يتبعها ولا اساسًا يبني عليهِ . ويروى انهُ كان يومًا يقطع بيتًا من الشعر فدخل عليهِ ولدٌ لهُ ورآهُ يحدث نفسهُ بكلامٍ غريب فخرج وهو يقول جنَّ ابي فاجتمع الناس عليهِ . ولما علم القصة نظر الى والدهِ وقال :

لو كنت تعلم ما اقول عذرتني او كنت اجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت انك جاهل فعذرتكا

فاخذ الشعر منذ ذلك العهد طريقًا منظمة يسير فيها على حسب اصول وقواعد لا يتوصل الى اتقانهِ معها الا بالكد والجدّ فلا ينيخ مطيته الاَّ لمن يبذل في سبيل تحصيله ماء العيون ولقد استفرغ الشعراء الاولون جعبة المعاني الشعرية فصار الشعر في ايامنا اصعب منهُ على عهد شعرائنا السابقين الذين كانت المعاني امامهم يتناولون منها مايشأؤن دون ادنى تعبٍ فكريّ . اما الان فلا ينال الشاعر معنى جديدًا الاَّ بالجهد وشقّ النفس فلذلك نرى ان عدد الشعراء الخليقين بهذا الاسم قليل جدًا بالنسبة الى الزمن السالف . وكان بودنا ان نرى شباننا الاذكياء مائلين الى المعاني العصرية التي تفتح امامهم للجديد بابًا واسعًا تاركين تكرار المعاني القديمة فقد صارت مبتذلة فالما كل من قال شعرًا ويقولها الان كل قائل شعر

ولسنا في هذا الموقف لنأخذ على شعرائنا البلغاء اهمالاً ولكن لنجيب دعوة بعض الاصدقاء الادباء الذين رغبوا الينا فتح باب للشعر ندرج فيهِ بدائع المنظوم من قديم وجديد مما هو طي الكتمان غير منشور ولا معلوم

ولقد بادرنا الى وضع هذا المبحث مفتتحينه بابيات « اعتذار » لفتى — وما نسميه — اسال فقده دمع المحاجر والجفون وما هو دمع بل القلب ذاب فسال من الآماق والعيون . . . وسنتابع في اعدادنا القادمة نشر ما نقف عليهِ من الشعر الذي لم يشهر ونخص منهُ ما كان فيهِ نكتة او سرد حكاية والله الموفق

« اعتذار »

شربت من المدام لدبكِ شيئًا قليلاً ليس يعقبهُ خمارُ
ولم احسب حساب مدام لحظٍ سقانيها فدار بي الدوارُ

وبينا كنتُ اشرب «والقناني» علينا منك خمرتها تدار
تحدث شعركِ الليلي بلطفٍ وقد لعبت بعطفك العقارُ
واشرق وجهكِ الصبحي ينادي كلام الليل يمحوهُ النهارُ
فقمت وبي من السكر اصفرار وفي وجهي من الخجل احمرارُ
ورحت وما وفيت بحق عذرٍ ولا شكر وما ذاك اختيارُ
فعذرًا ثم عذرًا ثم عذرًا وعفوًا حبذا منكِ اغتفارُ

شذرات افكار

عقل الانسان طامحٌ بالطبع الى الاعمال الخطيرة فهو يقدم غالبًا على ما لا طاقة له بهِ ويتناول اكثر مما في وسعهِ

الوضوح زينة الافكار العالية والاقوال الفصيحة

غرور الكاتب هو ظنهُ ان الناس تنظر الى تأليفهِ نظرتهُ اليهِ

دليل جهل المرء ثقتهُ العمياء من نفسهِ وظنهُ بذاتهِ الكمال والعصمة

الثروة المستحدثة سريعًا لا تكون الا واهية العماد فانها من وجهٍ لا تكون قد اتت من سبيل الاستحقاق والكد ولانها من وجهٍ آخر تروح كما اتت

الامل ينعش فؤاد العاقل ويحركهُ ويخمل قلب الجاهل الواني ويقعدهُ

الحذر والامل يضيعان غالبًا بخبئات الايام وطوارئ الليال

المطامع تزيل مسرات الشباب

النجاح يكثر الحساد وينقص من عدد الاخلاء الصادقين

تندك في ساعة من الزمن قصور خصب شاهقة بنيت على تراخي الاعوام وكرور الايام كما تذهب بجر الصيف المذيب عاصفة واحدة

للشجاعة عند وقوع السوء ابواب ومنافذ اكثر مما للعقل

العقل والحرية لا يتوافقان مع الضعف

نير العبودية اثقل من وطأة الحرب

الرق يذل الرجال الى حد انهم يحبون من يكرهون

الغاز

حل اللغز الاول المدرج في الجزء السابع ومعهُ لغز اخر

يا ملغزًا في (السحرِ) ما شيٌ قديمٌ مشتهر
ان زال عنهُ اخرهُ يومًا فقد سحَّ المطر
او غاب عنهُ قلبهُ تلقاهُ مكتوم الخبر
او طار عنهُ رأسهُ فالحر فيهِ قد ظهر
ورأيت في تحريفهِ معنىً تلألأ في السحر
وكذاك في تصحيفهِ شكلٌ جميلٌ كالشجر
فامنن بحسن بيانهِ ولك الثناء المفتخر

الاسكندرية حسين فوزي

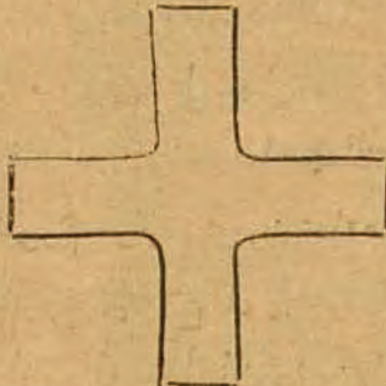
حل اللغز الثاني المدرج في الجزء السابع

اهاجر وصلي قد سبتني محاجرُ وانت على ذا الوصل حتى مَ حاجرُ
وجفني ولا شكوى لبعدك ساهرٌ وساهٍ واما انت ناءٍ وناهرُ
ولست بشاكٍ حيث اني شاكرٌ لفعلك فينا فهو باهٍ وباهرُ
ومع كل هذا قد تفسر لغزكم بان لك ابرهيم جاهٌ (وهاجرُ)

الاسكندرية حسين فوزي

مسأَلة جبرية

ماذا تكون الاجزاء اذا قسمنا صليبًا دفعتين حتى اذا ما ضممنا بعضها الى بعض كالواجب ركبنا منها مربعًا كاملاً



بغداد نابليون الماريني

بيـان وشكر

اشاع حسّادنا المرجفون ان مدة الراوي سنتهُ الاولى وان بعد هذه السنة يبكم لسانهُ ويسكت عن الرواية ويروح كأنهُ لم يكن . فقطعًا لالسنة الوشاة المنذرين بالسوء والباطل رأينا من الواجب ان نعلن لقرائنا الكرام ان الراوي عقد النية على ان يلبس بمؤازرة ابناء الوطن الاخذين بناصره حلة جديدة في رواية محامدهم ويجدّد في كل يوم لسانًا يروي بهِ عن افضالهم وآدابهم . ويزيد في الخدمة سعيًا فلا يضيع في اخلاصهِ للوطن مأمولاً . وحالما تنتهي سنتنا الجارية يبرز بين ايدي مريديهِ الكرام بوشاح اسبوعي جديد الرونق بما نعدّهُ لهُ من الوسائل الحسنة وبما يعدنا بهِ كتابنا الفضلاء من نفثات اقلام ستكون سهامًا في صدور المرجفين وكل آتٍ قريب

ولقد تلقينا من جناب الذكي النبيه قسطنطين افندي نوفل قصيدة غراء في تقريظ الراوي فمنعنا ضيق المقام عن اثبات شيء منها فنحن نقابل فضلهُ بالشكر والثناء . ولدينا من بغداد قصيدة غزلية كثيرة المخارج والرموز سنعرضها في العدد التالي على اذكيائنا المشتغلين بالشعر ليحلوا رموزها ويكشفوا عن غوامضها . ولقد ارجأنا الى العدد القادم مقالة مطولة في لحد الاسكندر الكبير اقتطفناها من كتيبٍ وضعهُ باللغة الفرنسوية حضرة الوجيه الفاضل الخواجا اسكندر دي زغيب ابان فيهِ عن المكان الحقيقي الذي يوجد فيه لحد هذا الفاتح الذي غزا بسيفهِ اربع اقطار الدنيا

المنارة

علم الناس ما هي فلسنا نزيدهم منها فوق ما يعلمون بل نكتفي بالثناء على همة الآخذين باصدارها ونرجو لهم نجاحًا ومنهم زيادة اعتناء واتقان . على اننا لسنا الان في مقام التقريظ ولا في موقف الانتقاد ولكننا رأينا في بعض اعداد تلك الصحيفة — وقال بعضهم ان ذلك في اعدادها كلها — كلامًا كأنهُ موجه الينا على سبيل التعريض والتلميح اللذين لا نرى من داعٍ اليهما ولا نجدُ موجبًا لهما . فان كان في نفس صاحب الصحيفة — او كتابها المتسترين — حاجة يطلبون قضاءها او في صدورهم حزازة يرومون شفاءها او في رؤوسهم سورة غرورٍ يلتمسون دواءها فليعرضوا عن التلويح والتلميح الى المجاهرة والافصاح فانا لا نعدم في الردّ عليهم ما يكون لهم دليلاً الى الرشاد . والله نسأل ان يهدينا وإياهم سبيل الرشد والصواب

الشهامة والحب

(تابع)

عن دين العصاة الذي يقودك الى النطع والسيف. واذا كنت لا تشاء ان تمنحني الهناء العظيم والفرح بان اراك داخلاً في الدين الكاثوليكي فانقطع على الاقل عن الاجتماعات واهرب القوم المتعصبين الذين يهوّرون بك. احيَ لاجلي يا ريموند احيَ اذا كنت تريد ان اعيش

— أتصيرين يا فيليس امرأة لي وتحملين اسمي اذا هاجرت من فرنسا وسرت الى بلاد الغربة حيث انادي بحرية بدين ابي وامي

فاجابته فيليس بصوت متقطع

— لا يمكن يا ريموند ان اكون زوجة بروتستنتي

— اذن فدعيني اموت

قال هذا وتبع مربيهُ الذي سار امامهُ رافعاً يديه وانظارهُ الى السماء. فجرت الفتاة على اثره وصاحت بهِ وفؤادها يتقطع كآبةً وغماً

— ريموند ريموند اسمع لي كلمة

— لا اريد ان اسمع الك شيئاً يا سيدتي فان حبكِ لي ولقد ابتهِ الان ليس الاَّ هزءٌ وسخرية

— ربِ انزل على قلبي الفصاحة وهب لساني معجزات البلاغة لاقنعهُ واثنيهُ عن غيهِ وامحُ اللهمَّ حبي من قلبهِ ان كان لا بد لعدلك من ضحية. ولكن فليحيَ

فلما سمع ريموند تلك الكلمات الخارجة من صميم فؤاد قطعهُ اليأس واحرقهُ الحزن والغم لفت نحوها متردداً بين التندم والتأخر ثم رجع اليها وخاطبها هكذا

— لماذا ترومين ان احيى يا فيليس ولمَ توجبين عليَّ الاعتناء والمداراة لشخص لم يجد في عينكِ حظوة

— ان المصائب تحف بك يا ريموند فلا بد من الشجاعة والاقدام. ولقد وضع على انق كل ما نيرٌ ثقيل يجب علينا احتماله بصبر وبما ان الله قد تركنا على الارض فعلينا ان

نبقى الى ان يستدعينا وهو يأمرنا بالاعتناء بحياتنا فالسمع والطاعة لما به يأمر فلا تفكرنَّ يا ريموند الا في امرٍ واحدٍ وليكن فكرنا فيه ثابتاً ومعتقدنا غير قابل للتغيير وهو ان حبنا باقٍ لا يحوّله كرور الايام ولا يؤثر فيه تعاقب السنين والاعوام . وانا ساصلي من اجلك الليل والنهار ليدخل قلبك شعاع الايمان وانتظر . ولكنك تعدني ايضاً بالثبات على عهدي والبقاء على سابق حبي وودي . أفلا تعدني بذلك يا ريموند

— اعد يا فيليس كل شيء في سبيل كلمة حب اسمعها من فيكِ . اجل بكل شيء اعدكِ ما خلا ترك اخوتي وثلم شرفي . واذا كانت الاخطار تحيق بهم أفيليق بي ان ارتكب الدناءة باهمالهم ومن وجهٍ آخر انكِ لم تصرحي لي عن تلك المخاطر بل تقولين ان قد كشفت اماكن مجتمعاتنا ولكننا غير مختبئين . ثم ان الجيوش تطاردنا . فاين لهذه الجيوش ان تلقي القبض علينا . ليس سوى في بيوتنا محاطين بالاباء والامهات وما يشكون منا وباي وزرٍ يتهموننا أثائرون نحن على الدولة ام مهاجمو الملك في قصره . ليس شيء من ذلك كلهِ وانما هم يمنعون عنا الهياكل ويحظرون علينا اتمام فروض مذهبنا فنجتمع في منازلنا ونصلي الى الرب الهنا . فاي اثم في ذلك واي وزر

— انا مقرّة يا ريموند باعتساف الناس معترفة باستبدادهم وبعدهم عن العدل والانصاف ولكن التجاءهم الى العنف والقسوة في الحالة التي نحن فيها ليس الا لمجد الرب العليّ العظيم وتقرير دينهِ القويم فلا الومهم على اعتسافهم ولا اواخذهم على استبدادهم . وانتم معاشر البروتستانت تعصون الشرائع فان شريعتنا لا تجيز في فرنسا اعتناق مذهب غير المذهب الكاثوليكي وتعصون الملك لانكم ترفضون الطاعة لما يأمر بهِ والخضوع لما يشاء فلذلك يرى لنفسه الحق بمجازاتكم كالعصاة المتمردين

فاطرق الكونت ساعة ثم رفع رأسهُ وقال

— واين تزعمين ان جيوش الملك ستداهمنا

— ستداهمكم الجيوش والعساكر بسهول نينوس على مقربة من حرش أندره في قصر دي لاشارس قصرابي الذي يفتح لكم حارسهُ ابواب دورهِ الارضي

— نعم نحن نجتمع هنالك . ولقد قال الجواسيس الحقيقة بعينها وصدق الخائنون . فآه لو كنت اعرف بهم وادري من هم لكنت اسقي الارض من دمهم واجعل لحمهم مأكلاً لذئاب الفلا ومطعماً لعقبان الجو

— انا على يقين من ان ابي يفعل ما في وسعهِ وطوقهِ لمنع وقوع مصاب مثل هذا ولكنهُ قد يمكن ان يجبر بالرغم عن انفهِ. فعليكم ان تتربصوا ريثما تنقشع الشكوك . فاقطعوا الان اجتماعاتكم وصلوا متفرقين كل رجل في منزلهِ . فاي فائدةٍ في استهدافكم لمعارضة قوة اعظم واقوى جدًّا من قوتكم . واي جدوى في معاندة من لا تستطيعون ردع بطشهِ . . . .

والان فان الوقت قد فات دون ان نشعر بهِ وها انا راجعة عنك من حيث اتيت فكن واثقًا بعهد ودي ودوام صداقتي التي لا تعمل فيها ايدي الايام واياك والارتياب في انني لك ما حييت

ولكن لا تدعني ايها الحبيب ارحل عنك بدون وعد منك اكون معهُ على راحة وسلام

— كل ما اقدر ان اعدك بهِ يا فيلبس هو ان انقل الى اخوتي ابناء مذهبي ما تنبئينني بهِ وان استخدم كل قوة سلطاني لانال من لدنهم ما تطلبين . وانني اشكر لك انعطافك نحوي واهتمامكِ بي . واثق بخلوص ودكِ وصدق قولك وآمل ان سيأتي يوم تؤثر فيهِ مصائبنا بقلبك فتمدي اليَّ يدًا تمنعينها اليوم عني وتهبيني قلبًا تضنين الان بهِ عليَّ . واذا كنتِ تشائين فانا اتبعكِ الى اقاصي الدنيا واسير معكِ الى حيث تحبين . والله واخوتي يصفحون عني اذا فارقتهم من اجلكِ لعلمهم بان حبكِ ديني وهواكِ مذهبي وعلى غرامكِ احيى واموت

وعند ذلك اطلَّ نوجان من الباب ودقت الساعة السابعة ونصف فقالت الفتاة

— انا راحلة يا سيدي ونفسي حزينة حتى الموت لان لا سلطان لي عليك ولا حظوة لديك فالوداع يا ريموند الوداع يا من احبهُ فيعرض عني . . لست ادري اذا كنا نتلاقى بعدها في هذا العالم وانت تريد ان تفترق في العالم الاخر . ثم ارخت القناع وخرجت مسرعة والشاب يتبعها بدون ان يفوه بكلمة . فلما صار في الشارع التفتت نحوهُ ومدت اليهِ يدها فقبلها سآئنًا وخطت للرحيل خطوات واعين الشاب تتبعها

وما ابعدت عنهُ حتى قفز من مكانهِ بغتةً وجرى وراءها قائلاً

— اسمحي لي يا فيلبس برافقتك فانني لا ادعكِ تذهبين في هذا الليل البهيم وفي مثل هذه الساعة دون رفيق يحرسك

— لست في حاجة الى حارس فان كلبي الامين الى جانبي وليس في المقاطعة من يجسر ان يمدّ اليّ يدًا

— اذا كنتِ تأنفين صحبتي فانا اتبعكِ عن بعدٍ . آه واحر قلباهُ من تقلب الايام. فكم من مرّة سرتِ للنزهة الى جانبي تسندين يدكِ على ذراعي المضطرب فوق قلبي الخافق ومهجتي الحرّى

— متى شئت يا ريموند فطيب ايامنا يعود وغصن سعدنا يزهر

— لا تخاطبيني بهذا الكلام فانهُ يضيع رشدي ويطير عقلي فدعيني يا فيليس دعيني، اهجس بايام سعد مضت وليالي حب وصفاء انقضت ولم يبقَ الا تذكرها تذكر يشخص لمقلة فؤادي ساعات كنا فيها ولا نبالي بالدنيا لا ننظر الا الى مستقبل رائق نحيى فيهِ متحدين متقاربين لا يفرق فيما بيننا الاّ الحمام

— اما انا فلا احب العود الى ذكرى تلك الايام ذكرى ينفطر لها قلبي الحزين وتذوب مهجتي القريحة . فانك يا ريموند بخروجك من بيت ابي اطرحت عنك الرضى بذلك المستقبل الذي تهجس بذكراه . فاه لو بقيت

— أتذكرين يافيليس يوم خرجنا بصحبة نوجان ومدام داربس شقيقتك لزيارة ضواحي غرينوبل فقد كان ذلك في هذا الفصل من السنة وبمثل هذه الساعة وكنا نسرع الخطى للوصول الى القصر كي لا ندع وسيلة لبلبال امنا . ولم يكن نوجان وشقيقتكِ قادرين على اتباعنا فسبقت خيلنا افراسهم وابعدنا عنهم فلما صرنا في هذه البقعة التي تطأها الان اقدامنا اجفلت مطيتكِ

— وكدت لولاك اهوي الى الارض ولكنك اسرعت فاخذتني بين ذراعيك ورفعتني فاجلستني امامك على فرسك فانت مخلصي من الهلاك وعلى يدك كانت نجاتي من الهاوية التي كلما نظرت اليها اذكر فاشتاق واحن فابكي

تذكرت والذكرى تشوق وذو الهوى يتوق ومن يعلق بهِ الحب يصبهِ

— وبعد ذلك بايام ثمانٍ قدم الاب سيلستين وبعدها بشهرين خرجت من قصر مونتمور وبين جفني دمعة امسكتها وفي فؤادي نار بيدي اضرمتها وهذه اول مرة منذ ذلك العهد تراك عيني ويشنف صوتك مسمعي

وكانا قد وصلا الى اعلا التل والبدر يشق كبد الفضاء باشعتهِ الذهبية فينير تلك الحقول والبراري السندسية والطبيعة بسكون وسكوت يبعثان الى النفس هاجساً يطير بها الى ما وراء العالم المنظور . فتوقفا هناك عن المسير ليتمعا النظر بجمال ذاك المنظر البهج وبعد سكوت افصح من كل كلام وقول دنت الفتاة من الحبيب وقالت

— اي ريموند . لقد حانت ساعة الفراق ونادى بالافتراق منادي النوى . فالوداع يا حبيبي ولتباركك السماء ويسبغ الله عليك اردان النعمة ويهبك السعادة التي طالما تمنيتها لي ولك . . . وساخبر الليلة ابي بمقابلتنا فما اقول لهُ من قبلك

— قولي لهُ بانني مقيم على قواعد الشرف الرفيع الذي رباني عليهِ محافظ على الدين الصحيح الذي القى اليَّ تعاليمهُ في صغري حافظ ذكر ابي الذي اصلي من اجلهِ

— ريموند . . .

— لااظن اباكِ يعدُّ ذلك عليَّ ذنباً فانهُ هو الذي علمنيهِ ودعاني اليهِ

فاجابت فيليس والحزن يزق احشاءها والعبرات تخنقها

— استودعك الله واياهُ اسأل ان يتولى حراستك

قالت ذلك بصوت متقطع وسارت نحو القصر الذي كانت على مقربة منهُ وكانت كلما سارت زاد بها البكاء حتى بلل الدمع محياها وزادها الحزن رونقاً وبهاء . والذي كان يزيد همها في تلك الساعة الهائلة ساعة اليأس والقنوط هي ما كانت تعلمه من تشبث ريموند في مذهبهِ ورسوخ قدمها في ايمانها فلا هو يغير معتقدهُ ولا هي تجحد الكثلكة . ولما صارت على مقربة من باب القصر وقفت لتمسح دمعها الهامل وتسكن اضطراب قلبها الواجف ولكي تصغى بالاكثر لوقع اقدام ريموند الذي تراجع من مكانهِ بعد ان اتبعها النظر حتى غابت عن بصرهِ . فلما انقطعت حركة اقدامهِ واخذ اضطراب قلبها بالسكون دخلت عرصة القصر فصعدت الى غرفتها لتلقي على مرآتها نظرة وحينئذٍ قرع ناقوس العشاء فنزلت الى غرفة الاكل فتزايد اضطرابها ونما بلبالها لان اول شخص وقعت عينها عليهِ كان الكونت دالبون

الفصل الثامن

قلب والدٍ

فلما دخلت فيليس قاعة الطعام خفّ الكونت دالبون الى لقائها وحيّاها بلطف معربًا عن شوقهِ الى لقائها ورومياها وزاد على ذلك قولهُ :

— ولكن الاب سيلستين اخبرني بان باب مخدعكِ ممنوع عن الجميع فلم اجسر على ازعاجكِ

فشكرت لهُ فيليس حسن مقاصدهِ بادبٍ يخالطهُ فتور وعدم اهتمام ولكنها لم تعتذر اليهِ ولم تبدِ لامتناعها من سبب

ثم رفعت ابصارها فصادفت مدام ديزوليير مصوبةً نحوها لحاظها تومىء اليها بالدنو منها فلما صارت الى جانبها استقبلتها باسمة وقالت

— تهربين يا مليحة من لا يليق بكِ ان تعاملي تزاحمهم على الاجتماع بكِ بالاحتجاب عنهم . ولقد وجدت ابنتي عوضًا عنكِ بمعاشرة شقيقتكِ اما انا فاي عوض اجد واي بدلٍ اتخذ

— عفوًا سيدتي فانني كنت متألمة من صداع قوي الزمني الاحتجاب

فنظرت مدام ديزوليير الى الفتاة نظرة معنوية ثم قالت

— وهو الذي حملكِ على الخروج لاستنشاق الهواء النقي وتخفيف الالم افاصبتِ ما خرجتِ تطلبين

— خفف الخروج بعض ما كنت اقاسيهِ فشكرًا لكِ

— مهلاً يا عزيزتي فما كنتُ اعهدكِ تكتمين ما عندكِ عن صديقةٍ مخلصة لا تروم الا راحتك . اويخال لكِ انني ما علمت من يوم وصولي بان طي الكتمان اسرارًا تودعينها القلب فتمزقهُ وحزازات في الصدر من حاجات بالنفس صارت عذابًا وهمًا . . . فما وراءك يا فيليس وما هذه الدموع التي لا يزال اثرها بين جفنيكِ يدل على البكاء والنحيب . تكلمي يا عزيزتي وبوحي بهمكِ لي فان الغم الذي تطلعين عليهِ صديقةً مخلصةً تقل مرارتهُ وتبرد حرارتهُ

— لست ادري باي عبارات شكر وثناء اقابل جميلكِ واهتمامكِ بشأني . ولكنكِ يا سيدتي على غير سواء السبيل فليس لديّ مكتوم ابوح بهِ الكِ ولا سرٌّ اطلعكِ عليهِ

فتظاهرت مدام ديز ولير بعدم سماع جواب الفتاة واردفت تقول

— قد يمكن ان تكوني غير راضية عن قرانك المزمع با لكونت دالبون ولكنهُ يا بنيتي في منتهى القصد وغاية الموافقة فان الكونت من خيرة الرجال واحسنهم

— ان اقاربي لم يحدثوني بعد عن هذا القران الا تلميحًا ورمزًا وانا ايضًا لم افكر فيهِ البتة

— فماذا اذن

— لاشيءَ يا سيدتي

— لا تحاولي الانكار . وانني الومكِ واعتب عليكِ لعدم الثقة بي فتكلمي يا عزيزتي وبوحي لي باسرار نفسك لاقاسمكِ الهم والكدر فانني اتألم لمرآكِ كئيبةً حزينةً

— لا احزن الله يا مولاتي لكِ قلبًا

— ترى أيكون فراق عشير صباكِ سببًا لاحزانكِ . فقد كنتما على ما اظن متعاهدين على عدم الانفصال مدى الحياة

— ان فراق الكونت ريموند احزننا جميعًا وكدّر الاسرة باجمالها وعلى الاخص ابي وامي فانهما كانا ينظران اليهِ كواحدٍ من اولادهما ويحبانهُ حبًا شديدًا

وكان بين المجتمعين الاخر حديث اخذ بزمامهِ الكونت دالبون وكان كلما تقدم بالحديث يرتفع صوتهُ شيئًا فشيئًا حتى ان السيدتين قطعتا حديثهما لسماع كلامهِ فاذا بهِ يقول

— نعم يا حضرة المارشال ان الصرامة مع هولاء الاشقياء لا تتعدى حدها مهما عظمت لان جسارتهم واقول وقحتهم تتزايد يومًا فيومًا . ولقد وصلت اليوم جسارة احدهم الى حد انهُ مرّ بجوادهِ على جسدِ رجل من خدمي . فما قولك

— وكيف كان ذلك

— عجت بطريقي على قريةٍ تبعد خمسة او ستة فراسخ من ههنا طلبًا للراحة فلقيت في نزلها المركيز دي ترايل يستريح من وعثاء الطريق فطلبنا الطعام في غرفةٍ فتحت نوافذها وهي غير منفصلة عن التي بجانبها الا بفاصل من الخشب رقيق جدًّا . واقمنا ساعة نتجاذب اطراف الحديث فادّى بنا الكلام الى ذكر خصوصيات وشخصيات ذكرناها بصوت ربما كان عاليًا . فسمعت في عرصة النزل صراخ رجل ملقىً على الثرى فانحدرت اليهِ فاذا هو خادم

لي رماهُ راكب صدمهُ بجواده وسار وسألتهُ عن امره فقال ان رجلاً من المراطقة امتطى جوادًا وبذل في شاكلتهِ المهماز فسار ينهب الارض ولم يكن حذَّر احدًا فصدمني والثاني على التراب معفرًا . ولما رأى ذلك اوقف جوادهُ وصاح بنا جميعًا « قولوا للكونت دالبون سيدكم ان يتحاشى ذكر ربات الجمال في منازل الطريق . واذا لم يرضهِ هذا الانذار فانهُ يلقى في مونتمور الكونت ريمون بيرنجه دي موجسنا أهبًا لخدمتهِ » قال هذا واطلق لمطيتهِ العنان فخفي عن الابصار

وهي قحة لم نسمع بمثلها قبل فمن هو هذا الكونت يا سيدي

فاجاب المركيز

— هو شاب ربيبهُ ولم يرد ان يعتنق الكثلكة فغادرنا لسوء الحظ وبات تحت سلطة مربيهِ يبث فيهِ والنسك بمذهب الاصلاح

— ساعلمهُ الدين بضربات المرهفات واوقفهُ على حده فيعلم ان الهرطقة لا تمنع الادب وهي مثالة اعطيه اياها تكون لهُ عبرة ومثالاً

فلما طرقت تلك الكلمات آذان فيليس علا محياها الجميل اصفرار واجابت بصوت ارجفهُ الغيظ وهدأهُ الحلم وقالت

— ولكنهُ رجل يرد الصاع صاعين ويعيد الضربة ضربتين فلا نعلل النفس بامال ربما لا تتحقق يا حضرة الكونت كما تريد

— انني اعذر اهتمامكِ بشأنهِ يا سيدتي ولكنني اؤكد لكِ بانني لا اتنازل عن حقي في هذه المسألة

— فقال المركيز

— ولكن كيف يطلب وتسنتي برازًا ومذهبهم يحرم ذلك تحريمًا كليًا

— فلذلك ارى يا سيدي ان لا دخل للبراز في معنى كلامهِ . وبما ان الكفرة عالمون بان جيوش الملك العادل ستهاجمهم فهم عازمون على المقاومة . وحيث انني نائب الملك في هذه المقاطعة فانني عدوّهم الالد واكبر مقاوميهم ففي ساحة القتال ينتظرني الكونت دي بيرنجه وهناك سيلقاني خصمًا عنيدًا وعدوًا لا يقاوم

وما اتمّ الكونت دالبون عبارتهُ حتى فتح الباب ودخل الاب سيلستين فقال

البقية تأتي